القصيدة الإسبانية مُعلقة السيد : نواة و تأليف عربي

تأليف دولورس أوليفر بيرث

ترجمة و تقديم

حسان بن مبروك

التعريف بالكتاب و صداه داخل المجتمع العلمي الإسباني:

"استغرق الأمر مني خمسة عشر عاما للإيمان بأن عربيا هو الذي أنشد قصيدة ملحمة السيد"[1]

القصيدة الإسبانية معلقة السيد : نواة و تأليف عربي، كتاب نشر سنة 2008 عبر مؤسسة ابن الطفيل للدراسات العربية من تأليف دولورس أوليفر بيريث.

هو ثمرة عقد ونصف من البحوث والدراسات لفك شفرة غموض دام عشرة قرون لمعرفة صاحب أشهر و أقدم معلقة أو قصيدة شعرية كتبت باللغة الإسبانية، و رمز من رموز الأدب لدى الإسبان .فمنذ أن اكتشفت مخطوطات المعلقة أسالت من الحِبر ما ملء مجلدات ومجلات فأصبحت فنا من الفنون و اختصاصا لدى الأدباء، والشعراء،والمؤرخين لا يخوضه إلا من كان له دراية و رواية بالشأن الأندلسي الإسباني دِقه و جُله. في عصرنا اختص فيه رامون مينديث بيدال ، بيدرو مانويل كاثيدرا ، لكن برعت فيه صاحبة الاكتشاف الأهم ماريا دولوريس أوليفر بيريز التي صدعت دون تردد في كتابها **القصيدة الإسبانية معلقة السيد : نواة و تأليف عربي** أن صاحب القصيدة عربي مسلم هو القاضي والفقيه أبو الوليد الوقشي.[2]

"أعلم بهذا الكتاب أني رميت بالعديد من البحوث والدراسات جانبا " [3]دولورس أوليفر بيريث.

شهد شاهد من أهلها. قدمت الكاتبة الإسبانية حججا وبراهين بينة من جهة المفردات والصور الشعرية التي أوردها الشاعر دلت بكل وضوح على أنه أسلوب عربي أصيل مفعم بالقيم و النبل يتماشى مع تعاليم الإسلام، لا يمكن أن يأتي به نصراني أو حكواتي متسول كما زعم بيدال مينديث و كولين

---

[1] صحيفة نورتي دي كاستيا - El norte de castilla، مقال مارتا خوستي ، نشر 14 سبتمبر 2008
حوار ريكاردو أوطاثو مع الكاتبة دولورس أوليفر بيريث بمنزلها في مدينة بلد الوليد.

[2] قال الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء ص 134 ، الوقشي: العلامة البحر ذو الفنون أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكناني الأندلسي الطليطلي . عرف الوقشي ، و وقش : قرية على بريد من طليطلة . مولده سنة ثمان وأربعمائة .
أخذ عن الحافظ أبي عمر الطلمنكي ، وأبي محمد بن عياش الخطيب ، وأبي عمرو السفاقسي ، وأبي عمر بن الحذاء ، وجماعة .

[3]صحيفة بوبليكو - Publico ، مقال باولا كوروطو ، نشر 19 ابريل 2009 بعنوان : ملحمة السيد : هل كان عربيا من حمل سيف السيد؟

سميث. **"هذا مستحيل لأن الحكواتي المتسول أغلبهم أميين يروون قصصًا تعلموها سمعا من خلال التقاليد"** تقول اوليفر.[4] فلم يبقى لمعارضيها إلا الرفض و قد استيقنت بها أنفسهم.

بشكل محتشم و آخر متردد إعترف بعض الأكاديميين بصحة ما دعت له أوليفير في كتابها و نخص بالذكر منهم لويس برنابي ، أستاذ جامعة أليكانتي : **"أن تكون المعارك شبيهة بمعارك أبطال الإسلام وأن يظهر كسيد عربي أمر لا يمكن دحضه".** [5] و خوان مارطوس أستاذ جامعة كومبلوتنسي بمدريد عن الكتاب : **ملهم، جريء و ليس اعتباطيا.**[6]

ترجمة الكتاب للغة العربية:

حكمه العلمي واجب على من استطاع إليه سبيلا و أمكنه ذلك إحقاقا و تبيانا لحَق فردي حُرِّف و طُمس يتعلق بذات الكاتب في نسبه، نسبته،دينه و أخلاقه. ثم بحق ثاني يتعلق بالعرب و المسلمين عموما و الأندلسيين خصوصا في إنتساب الملكية الأدبية لقصيدة تمثل حجر زاوية ورمزا في الشعر الإسباني كقيمة مضافة إلى كنوز العلوم الأندلسية التي استفدت منها الإنسانية والغرب اللاتيني تحديدا.

إن جحود جمهور الأكاديميين الإسبان و من والاهم لحقيقة كتاب دولورس اوليفير بيريث في نسبة معلقة السيد إلى عربي مسلم لا يثني أهل لسان هذا الأخير لنقل محتوى الكتاب إلى القارئ العربي لترسيخ الوعي و الفخر لديه كعنصر أساسي في بناء الأدب الإسباني. كذلك الإقرار والاعتراف عموما بمنهج الكاتبة.

[4] المرجع السابق
[5] المرجع السابق
[6] المرجع السابق

التعريف بالمترجم: حسان بن مبروك، مترجم **عربي - إسباني.** تحصل على الإجازة الأساسية في اختصاص الأدب والحضارة الإسبانية بالمعهد العالي للغات الحية بتونس سنة 2011، و ماجستير التواصل بين الثقافات, الترجمة والترجمة الفورية في مجال الخدمات العامة بجامعة الكلا دي إينارس مدريد _ إسبانيا سنة 2015. عمل مترجم لدى المفوضية الإسبانية لشؤون اللاجئين.

ترجمة مقال جامعة أليكانتي الإسبانية بعنوان[7]:

مؤلف معلقة السيد كان مسلمًا مقيما بمدينة بلنسية أثناء حكم رودريغو دياز دي فيفار

[7] EL AUTOR DEL CANTAR DE MÍO CID FUE UN MUSULMÁN AFINCADO EN VALENCIA EN VIDA DE RODRIGO DÍAZ DE VIVAR (ua.es)

أليكانتي ، 30 مارس 2009

قريبا نشرت الباحثة دولوريس أوليفر بيريز ، الأستاذة في جامعة بلد الوليد ، كتاب El cantar de Mío Cid: Génesis y autoría árabe **القصيدة الإسبانية معلقة السيد : نواة و تأليف عربي**، الذي أكدت فيه أن الناظم هو أبو الوليد الوقشي ، وهو شاعر عربي و فقيه شهير أنشد قصيدته سنة 1095 أثناء حكم رودريغو دياز دي فيفار.

يوجد نوعان من الأطروحات التي تتكرر حول **من هو صاحب القصيدة؟**
أولها وأكثرها انتشارًا هو الذي ينص على أنه كان حكواتي متسول ، كما ذكر ذلك مينينديز بيدال.
أما الثاني يعتبر أن المؤلف كان فقيها مثقفا لديه معرفة بالمصادر اللاتينية والملاحم الفرنسية. لكن أوليفر بيريز ، التي قدمت كتابها مؤخرًا في جامعة أليكانتي ، توصلت إلى اكتشاف مفاده أن معلقة السيد هي قصيدة مدحية سياسية ، من تأليف أبو الوليد الوقشي ، في بلاط رودريغو وأنه بدأ في إنشادها بالعربية واللاتينية الرومانسية في بلنسية سنة 1095.

وبالتالي ، فإن تاريخ إنشاء القصيدة لا يتطابق مع الأطروحات المتداولة.
حتى الآن ، يعتبرون أن قصيدة Cantar de Mío Cid قد كتبت في عام 1207 في حين توضح الدكتورة أوليفر بيريز في عملها أنه لا يمكن كتابتها في ذلك الوقت ولكن تمت كتابتها بينما كان السيد(رودريغو دياز دي فيفار) على قيد الحياة ، لأنه كان زمن يتسم بالتسامح مع المسلمين. تم العثور على مفتاح تأريخ القصيدة عام 1095 ، وليس عام 1207 كما كان يظنون الآن ، من قبل المؤلفة في العبارات المدرجة في أبيات مثل "**أحب المسلمين**" ، التي قالها بلسان الحاكم حينها مع الأخذ في الاعتبار أنه بعد وفاة الأخير ، في عام 1099 ، انتهت فترة التسامح التي كانت سائدة أثناء حكمه، << **لا يمكن كتابتها إلا عندما كان الحاكم على قيد الحياة**>> قالت أوليفر بيريث.

إن التحقيق المقارن بين القصيدة و أول تاريخ عام لألفونسو العاشر الملقب بالحكيم ، الذي شكل أول عمل رومانسي مبني على مصادر لاتينية وعربية و أيضا على قصيدة Cantar de Mío Cid نفسها، يعطي الجواب على السؤال متى كان لا بد من كتابتها؟

وهكذا ، عند دراسة أبيات القصيدة بشكل مقارن مع تحريمها في الوقائع العامة الأولى ، نقدر كيف تم تعديل أشياء كمعاملة السيد أو الملك ألفونسو أو الأطروحات الدينية، والسبب في ذلك أن صورة السيد لا يمكن قبولها في المجتمع الغربي حينها. مثال: أن السيد يتفاخر بخداع اليهود في القصيدة الأصلية باقتراض المال بغير قصد رده ، لأن القرآن حرم إقراض المال بالربا. [**تعليق المترجم**: التأويل الذي أورده كاتب المقال يتناقض مع تعاليم الإسلام و أخلاق الإحسان التي أنشدها الشاعر المسلم نفسه. لذلك إما أن إسقاطا أصليا أدى لفهمه على ذلك النحو أو أن الشاعر ذكر معاملة اليهودي دون ربا مفتخرا بذلك ليتوافق قوله و فعله فحّرف عن معناه].

وفقًا للدكتورة أوليفر بيريز ، **<< هناك العديد من التفاصيل التي هي مميزات الشعر البدوي تظهر في قصيدة السيد _ Cantar de Mío Cid والتي لم يفهمها أحد لأنهم غير مدركين لها >>.**

تاريخ التأليف الذي أشارت إليه أوليفر بيريز كان عصر ملوك الطوائف. في ذلك الزمن ، تُلقى قصائد من هذا النوع كدعاية سياسية. إستنتجت باحثة جامعة بلد الوليد إلى أن السيد فعل الشيء ذاته ليحبه الناس.

عُرِّف أبو الوليد الوقشي ، مؤلف القصيدة ، بأنه أكثر الرجال ذكاءً وحكمةً في عصره. يعرّفه كل من التاريخ العربي والنصراني والتاريخ الإسباني العام الأول على أنه مسلم متسامح لديه هبة عظيمة عند الناس. على وجه التحديد ، كان تسامحه هو الذي قاده من وقشة Huecas (قرية في طليطلة) ، حيث كان ، إلى بلنسية ، المدينة التي انتقل إليها هاربًا من بلاط المأمون.

عندما حاصر السيد (رودريغو دياز دي فيفار) مدينة بلنسية ، كان المسلم الحكيم (أبو الوليد الوقشي) قد تسلق البرج وأعلن للناس المستقبل الأسود الذي ينتظرهم إن لم يستسلموا.

كان مؤلف القصيدة مسؤولاً عن وضع بنود استسلام بلنسية ، وفي ذلك الوقت أبرم اتفاقًا مع السيد، حيث ساعده الشاعر على تحقيق العدالة ، و جمع له حاشية أدبية وقام بتأليف معلقة في مدحه حتى يصير محبوبا من رعاياه. في المقابل ، وعده السيد باحترام شعائر المسلمين والمساجد ومعتقدات هذه الأمة.

اكتشفت الباحثة أنه في الجزء الأول من المعلقة، يتعامل السيد مثل زعيم القبيلة ، حيث يحب السيد المسلمين و يحبونه. و في الجزء الثاني يتعامل مثل ملوك الطوائف كما تعبر عنه مشاهد تصف كيف يعامل زوجته وبناته أو تفاصيل ترتيب حفل زفاف ابنته دون الاعتماد على زوجته.

تم نشر كتاب **القصيدة الإسبانية معلقة السيد : نواة و تأليف عربي** من قبل مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية ونشره في عام 2008. وقد عرضت هذا العمل الأستاذة والباحثة في جامعة بلد الوليد ، دولوريس أوليفر ، متحصلة على إجازة في الفلسفة والآداب و دكتوراه في فقه اللغة الإسبانية ، ضمن برنامج الربيع الثقافي السابع لكلية الفلسفة والآداب بجامعة اليكانتي.